

(مواقع التواصل الاجتماعي وسائط تفريغ وشحن أم منابع ثورة؟)

د/ عبدالحليم بوهلال

أستاذ فلسفة العلوم والمنطق الرياضي

جامعة زيان عاشور الجلفة الجزائر

ملخص:

إن مواقع التواصل الاجتماعي وإن كانت في جوهرها أمرا إيجابيا لما تقدمه للناس من خدمات معرفية نفعية من خلال مد جسور التواصل والمعارف بينهم، إلا أن تحول الإنسان فيها إلى منفعل يتحرك في أغلب الأحيان من غير وعي، تجعل منها وسائل تتحكم في توجه الإنسان الفكري والانفعالي مما يفقده حريته، حتى وإن ظهرت مطالبه التي يعبر عنها مشروعة، كحال من قام بما يسمى بثورات الربيع العربي. لذلك نحاول من خلال هذا المقال أن نبين أن تلك الثورات كانت مجرد فعل لشحن تم، كان لهذه الوسائط الاجتماعية دورا كبيرا فيه، ففقدت الثورة نتيجة ذلك معناها. لأنه لا ثورة بلا وعي وقائد معروف وأهداف محددة ونقد مُوجه.

الكلمات المفتاحية:

مواقع التواصل الاجتماعي، الوعي، الحرية، الثورة.

Résumé:

Les sites des réseaux sociaux même s'ils sont en substance, positifs pour ce qu'ils proposent comme connaissances utiles pour construire des ponts de communication et de connaissances entre les gens. Mais par contre l'homme sous leurs influence se comporte de manière générale sans conscience. Et c'est pour cette raison ces réseaux deviennent des moyens de contrôle d'orientation intellectuelle et émotionnelle, qui lui font perdre sa liberté, même si ses revendications exprimées sont légitimes Comme les soulèvements du printemps arabe.

Nous essayons donc à travers cet article de montrer que ces révolutions étaient juste un moyen de tension à travers les médias sociaux qui ont joué un grand rôle. Mais par contre ils ont vidé ces révolution de tout sens. Parce que il n'y a pas de révolution sans objectifs précis et connus et une critique bien orienté.

Mots-clés:

Les sites des réseaux sociaux, conscience, liberté, révolution.

1/ الإحاطة بالإشكال:

إن البحث دائماً عن وضع أفضل للإنسان فعل فطري ينم عن سلامة نفسية وفكر صاحبه. بل إن قيام الدول، وظهور العلوم من السياسة إلى الطب، كان من أجل توفير مستلزمات الحياة الفضلى، التي يرتقي فيها البشر، فيحققون أدميتهم كاملة غير منقوصة. وإلا ما الجدوى من إقامة سلط وجيوش ومؤسسات، إذا لم يكن الغرض غير مصلحة الإنسان.

لن نتعجب إذا، عندما نجد جل الفلاسفة وعلماء الاجتماع، وعبر تاريخ طويل لا هم لهم إلا نقد الواقع والبحث عن أصلح نموذج للحياة، يمكن أن يوفر للبشر تلك الراحة والطمأنينة المنشودة. بل وتلك الكرامة والحرية الأصيلة الأصلية فيهم. فالتاريخ يحمل بصمات مجتهدين نظروا للحياة الفاضلة، حيث كتب أفلاطون "الجمهورية" حالما بدولة العدل كما تخيلها. وتفنن أرسطو من خلال كتابه "السياسة" في تمثيل الحكم الراشد. وسعى الفارابي في تشييد المدينة الفاضلة من خلال مؤلفه "أراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها".

وقدم مونتسكيو تصوراً للحكم السامي من خلال كتابه "روح القوانين". وفعلها روسو في مؤلفه "في العقد الاجتماعي". وقدم كانط أنموذجاً لحكم عادل وتسامح شامل من خلال كتابه "مشروع للسلام الدائم". وغيرهم كثير. ومن أجل نفس تلك الغاية تصوروا فكتبوا. فالكل بحث للإنسان عن عالم أفضل يحقق فيه فطرته، ولا يزالون إلى الآن يفتشون عنه. فها هو ميشال فوكو أيضاً يحلم بتحقيق ذلك المبتغى قائلاً: >> بينما كنت أمضي فترة نقاهة في الصيف الفائت بعد حادث صحي ألم بي، قرأت كتاباً لم يشتهر في فرنسا ولم يكن له فيها صدى كبير. هذا الكتاب هو {مبدأ الأمل} لأرنست بلوخ. وتراءى لي أنه يطرح مسألة جوهرية هي مسألة الرؤية الجماعية للتاريخ التي بدأت تتبلور في أوروبا في القرون الوسطى. فخوى هذه الرؤية هي إدراك إمكانية وجود عالم آخر وأفضل على هذه الأرض ورفض واقع الأشياء وعدم اعتباره أمراً ثابتاً ونهائياً والسعي إلى اكتشاف ثغرة ونقطة تضيء وتجذب داخل الزمن والتاريخ وتتيح الانتقال إلى عالم أفضل على هذه الأرض الفانية. <<¹.

فحق الفيلسوف فوكو فكر في إمكانية تصور وضع أفضل للإنسان، وهو ذلك الرجل المنتهي لأوروبا مكاناً، ولنهاية القرن العشرين زماناً، ولل فكر الغربي المعاصر ثقافة وحضارة. فإذا كانت هذا حاجة المفكر الأوروبي، فلا بد أن تكون حاجة المجتمع العربي لتوفير المكانة اللاتقة به كإنسان أشد، خاصة وأنه يعاني التخلف وعلى الجميع المستويات. فمن كبت مارسه مستدمر عليه إلى كبت مارسه عليه نظماً شمولية.

2/ طرح الإشكال:

لكن شيوع وسائل التواصل الاجتماعي من فيسبوك وتويتر وغيرها، وانخراط الشباب العربي فيها. أحدث نقلة في تعامل الشاب العربي مع نفسه ثم مع مجتمعه ومع السلطة التي يخضع لها. وكانت النتيجة احتجاجات فسقوط لبعض الحكام. مما جعل الكثير يتكلم عن عالم افتراضي غير مجرى العالم الحقيقي. فهل فعلاً هذه الوسائل الاجتماعية أحدثت ثورة في تلك الدول العربية؟ أم أنها لم تكن إلا وسيلة موجهة مبرمجة، بموجها تُفرغ شحنة الغضب؟.

3/ العرض:

في ظل ضغوط استغرفت الإنسان المعاصر بصفة عامة والإنسان العربي بصفة خاصة: سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية. جعلت منه مستجيباً بشكل قهري لمختلف المنبهات، بمنحى آلي لا شعوري، أثمرت مريضاً تتلاعب به نُظم فكرية، كما تريد، بل وتتحكم فيه وعن بعد. إذ تم برمجته وفقاً لغايات مرسومة مسبقاً تهدف بالأساس إلى استعباده في صورة متحضرة. لا يشك الملاحظ المستقرئ في صلاحية الحال، فالمنفعل يحتويه الفعال فلا يحيط به معرفة، فيغيب لديه الحكم الصحيح دون أن يشعر بذلك، إذ لن يرى في التفاصيل الجزئية الحق، فلا يكتشف الوهم. والنتيجة تهمان عن الذات وفقدان للثقة في النفس وفي المجتمع وفي من

يحكم. ويبقى الأمر مدير بنهار لا ليل، يقول ريتشارد نيكسون: >> من السمات الأساسية لأسلوبنا في الحياة إيماننا بأنه عندما يعمد الحكام إلى الاستئثار المنظم بالمعلومات، التي هي حق خالص لجمهور الشعب، فإن أفراد الشعب سرعان ما يصبحون في وضع يجهلون معه كل ما يتعلق بشؤونهم الخاصة، كما سيفقدون الثقة في هؤلاء الذين يسيرون أمورهم، وسيفتقدون في نهاية الأمر إلى القدرة على تحديد مصائرهم.²

وفعلا خرج من رحم نمط فكر سائد "الشاب القنبلة"، تدفعه رغبات مكبوبة وآمال لا تتحقق إلا في أحلام النوم تارة، وفي أحلام اليقظة تارة أخرى.

سيرى الملاحظ مدارس وجامعات تشيد، ووسائل إعلام منتشرة تنقل الخبر في لمع بصر، وتُحول العالم برمته إلى مجرد قرية صغيرة. سيرى أيضا علو في البناء ووصولاً في الاكتشاف إلى إبداع نظريات كثيرة وفي مختلف التخصصات: في الإنسان والمجتمع والطبيعة. ففي الفيزياء مثلا، نجد نظريتي: الكم والنسبية وغيرهما، سواء في الماكروفيزياء حيث الفضاء والأجسام الكبيرة. أو في الميكروفيزياء حيث الجسيمات المتناهية في الصغر. سيقف على تطور في الوسائل وفي مختلف مجالات الحياة من مجهر ضوئي إلى آخر الكتروني إلى حاسوب. ومن المذيع إلى التلفزيون إلى الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي. حتما سينهر.. سيقول إنه عصر العلم والتقنية بامتياز. لكنه بتأمل بسيط: يمكن أن تسأل هل هو عصر الإنسان عامة؟ والعربي خاصة؟

إن عالم شبكات التواصل الاجتماعي، والتي تعرف على أنها عبارة عن منظومة الإلكترونية تتيح للمنخرط فيها امتلاك صفحة أو موقع خاص به، يتمكن من خلاله من تكوين علاقات مع أشخاص آخرين، مما يسهل عليهم عملية التواصل وتبادل الحديث والآراء والردشة في مختلف المواضيع المتصلة باهتماماتهم وهواياتهم المشتركة³.

لا شك أنها إبداع القرن، وثورة علمية تكنولوجية، ستكون موقفا في التاريخ، إذ ستؤثر البشرية بها كما لم تتأثر من قبل. فنظرة عابرة لها توقفك على تلك الخدمات التي سيستفيد منها الإنسان والتي يمكن أن نوجزها في الآتي:

- إشباع حاجات ورغبات ودوافع المشترك، فتتحقق له راحة نفسية وسعادة، حتى وإن كانت مؤقتة.
- ستكون وسيلته المثلى للهروب من واقع مناقضا لطبيعته.
- ستمكنه من التفاعل مع الآخرين والتغلب على عوائق هذا التفاعل في عالم الحقيقة، من شعور بالنقص اتجاه الآخر أو الخجل. فيكتسب نتيجة ذلك ثقة في الذات.
- ستمنحه هذه الوسائط مصدرا لاكتساب معرفة ومعلومات جديدة. وفي زمن قصير جدا⁴.
- ستكون مجالا لإبراز المواهب الشخصية والتنافس مع الآخرين.
- ستوفر له فرصة للبحث والتعلم الذاتي.
- ستكون مكانا يسمح له بالتعاون مع الآخرين.
- ستوفر له فسحة للتسلية واللعب.
- ستمكنه من الإبحار في هذا العالم دون تكلفة.
- ستشعره بحريته وتشجعه على ممارسة النقد، مادمت لا تخضع لرقابة السلطة.

- ستمكنه من إعلام بديل، يتلقى فيه المعلومة وينشر من خلاله الأخبار، بل ويتجاوز الإعلام الموجه، وبذلك يستطيع أن يتضاد معه.
ومن جهة أخرى يمكن استخلاص أهم مميزات هذه الوسائط الاجتماعية في الآتي:

- إنه مجتمع افتراضي يتجاوز حدود الجغرافيا، يلتقي فيها الأشخاص من كل جهات العالم، فلا حاجة فيه أصبحت إلى الحصول على التأشيرة التي كان يحلم بها خاصة شباب العالم الثالث والشباب العربي خاصة، فبفضل هذه الوسائط أصبح العالم الغربي في متناولهم، من خلال هذا العالم الافتراضي وفي أي وقت أرادوا.

- إنها وسائط لتفتح منعزل، فرغم أنه تتيح له تواصلًا غير مشروط مع كل الأشخاص من مختلف البلدان إلا أنها تكرر عزلة عن المجتمع في عالم الحقيقة. وهنا ستتشكل لنا نفسية جديدة منفصلة عن طبيعة الإنسان العربي الاجتماعي المتعلق بأسرته وأهله.

- إنه مجتمع افتراضي يوفر للمتسبين له حرية الفعل في حدود ما يسمح به هذا العالم الجديد.

- يبدو أنه عالم يضمن له الأمان وسرية ما يفعله. لكن تبقى الإدارة المسؤولة هي من تتحكم في مدى تحقيق شروط الأمان والسرية.

- ومن أهم نتائج هذا الانتساب إلى هذه الوسائط الإدمان عليها.

- ومن أهم نتائجها أيضا: تفتيت الهوية الذاتية والدينية واللغوية والوطنية للشخص المنتسب لها غالبا.

إذا هو عالم افتراضي مواز لعالم الحقيقة، كان بمثابة ثمرة لثورة رقمية اعتبرها الفيلسوف ستيفان فيال حدثا تاريخيا لأن هذا الشكل من الثورة في نظره، أحدث قطيعة ابستمولوجية، تماما كتلك التي تكلم عنها باشلار، بما أنها استوفت شروط القطيعة، فقد نقلت جل الأنشطة الإنسانية إلى عوالم رقمية. ففي ظل هذه العوالم الافتراضية تكون أمام وسائط ليست تقنية فحسب، بل تحمل بالإضافة إلى ذلك قيما وعقائدا وثقافة. فكان أن سماها فيال بأدوات الثقافة التقنية⁵.

لكن تأمل هذا العالم وبمنهج متعال. يجعلنا نقرر الآتي: إنه عالم يشبه تماما في تصورنا عالم أحلام اليقظة، إنه تجلي لا شعوري، تظهر فيها سوءات عالم الحقيقة. ففيه نعبّر عن كل مشاكلنا، فنخرج المسكوت عنه، ذلك الذي لم نبح به إما خوفا أو حياء أو جهلا في حالة اليقظة أي في عالم الحقيقة الموازي لعالم الوسائط الاجتماعية. إنه عالم الأبطال والانتصار وتحقيق الرغبات والاستجابة للدوافع الفطرية النفسية: من حب ظهور وطلب نجاح وامتلاك للقوة والجمال والملك والعلم. بل وحتى مجالا لتحقيق رغبات الجسد. لكن يبقى ذلك مجرد افتراض ووهم.

في هذا العالم، يمكن أن تستعير اسما آخر بل وصورة أخرى، ويمكن لك أيضا أن تنتقي عنوانك ووظيفتك وتصدر أحكامك... إنك تفرغ شحنات سلبية، استغفرتك ولزمن طويل بفعل البرمجة الفكرية المفروضة. فتتحول نتيجة ذلك إلى طاقة تكسبك قوة، ولكن إلى حين. فكأنك إلكترون بول ديراك الموجب في الأصل السالب في الظاهر، فلن تتجلى الإلكترونيات الموجبة، إلا إذا خرجت من الثقوب التي تسكنها، ولن يكون ذلك إلا بقوة خارقة تنتزعها. ويبدو أن هذه الوسائط الاجتماعية قوة أخرجت ما هو سلبى فينا. ولكن في عالم افتراضي، تحول إلى واقع في نظر البعض عندما ظهر ما يسمى بالربيع العربي. فهل فعلا حدثت الثورة؟ وتجاوز الأمر التفرغ إلى الفعل كما ظهر في بعض البلدان العربية؟.

نعتقد أننا في هذا العالم الافتراضي نكون كمن هو في محيط بلا حدود، فالذي يغرق فيه أكثر ممن ينجو. وإن ظهرت كثير من الأحكام فيه صحيحة، وإن كان جل الوصف لحال الإنسان العربي المعاصر فيه حقيقي، وإن تبين أنه مارس النقد فيه وهو المطلوب. لكن يبقى الأهم في كل هذا: أين موقعه بين الفاعلية والانفعالية؟.

لا ينبغي أبداً، أن توهمنا المظاهر وإن بدت جيدة، لأن الأهم: هل عنصر الحرية والإرادة متوفر لنا في هذا العالم الافتراضي؟.

لا شك أن مواقع التواصل الاجتماعي شكلت متنفساً للشباب، بل ولأغلب الناس من كل الأعمار. أناس أعيتهم برمجيات نظم لهم، فنتج المنهكون في البلاد العربية، الطوقون للحياة الكريمة. ففي كل واحد منا أحلام كبيرة، لا تلبث أن تصطدم بواقع مرير صنعتها سياسات شارك في مدمر سعى نفسه مستعمراً وأتباع له من بني جلدتنا. فكانت هذه المواقع قبلة يفر إليها كل طالب تفرغ لعقد تشكلت بفعل تلك الضغوط. الناتجة عن الظلم تارة والفقر تارة أخرى والفراغ تارة ثالثة. وفي دردشة مع أناس ومن كل الجهات ومن الجنسين تفرغ المكبوتات بكل أنواعها.

لكن تطور الحديث من خلال هذا الإعلام البديل، ليصبح مجالاً لإبداء الرأي والحرية الكاملة في الكلام، توجه نحو تلك النظم بمعاول النقد دون رقيب أو خوف. إذ وجدوا في الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في البلاد العربية موضوع نقاش ونقد، أفرز تشكل حركات شبابية، تصدت للمسؤولين والحكام بالهجوم اللاذع، حملة إياهم كل مأسهم.

وكانت البداية في تونس خرج شباب غاضب إثر حرق البوعزيزي نفسه، ولم يلبث أن فر بن علي. لتثور مصر على نظامها، واليمن وسوريا على من يحكمهما؟. فهل نجحت ثورة تأطرت عبر الفيسبوك، وقد ظهرت ثورات مضادة؟. هل أصلاً كانت ثورة؟. أم مجرد انفصال مؤطر رغم شرعية المطالب؟.

الواقع يقول أن بمصر عاد النظام. وفي سوريا لا يزال، وباليمن تحولت إلى أرض مدمرة، وبتونس حكام من العهد القديم على المنصة. فأين تلك الآمال؟.. أم أن الهدف أن يفقد الشعب العربي أي أمل في التغيير، بل وأن يكره شيء اسمه ثورات؟. ثم الملفت للانتباه أن هذه الوسائط، كما كان يُفرض فيها الكبت من جهة، كان يُشحن فيها جموع الشباب أيضاً ليثور. وفي الحاليتين كان الشباب منفعل. بل وفي هذه الوسائط نفسها تنفخ ما يسمى: الثورة المضادة.

لا شك أن مواقع التواصل الاجتماعي تجاوزت إعلام السلطة، وأصبحت منبراً لمن لا منبر له، بل ومكاناً لأن يقول العربي كلمة (لا). التي سحبت من قاموسه اللغوي ولعقود من الزمن. لكن من كان يحرك تلك المواقع في عالم افتراضي لا تعرف فيه لا القريب ولا البعيد؟، وهل لمثل هكذا لقاء أن يثمر ثورة كان ولا يزال يحلم بها الإنسان العربي؟ وهل تمكن الشاب العربي من أن يغير نظاماً سياسية حاكمة؟.

إن القول بأن مواقع التواصل الاجتماعي مجال خصب للتوظيف، إنما هذا القول حقيقة ساطعة لا شك فيه، فكما يقر جل الباحثين من أنها توظف من أجل نشر قيم الثقافة والحضارة، من حوار ومعرفة ونقد⁶. يمكن أيضاً أن يوظف في الاتجاه المعاكس وواقع هذه الوسائط يثبت ذلك، فهناك من يوظفه لنشر التعصب للرأي ولتجريم الثوار والتشكيك في نواياهم وأهدافهم. بل و برمجة حتى من يعتقد أنه تائر وكذلك من يرد هذا الأخير.

إن ما حدث في الوطن العربي لا يرقى لأن يكون ثورة، إذ إن النقد الاستمولوجي يبين لنا أن ما نتج من احتجاج كان مجرد رد فعل لحالة نفسية انفعالية، لعبت فيها الوسائط الاجتماعية دوراً مهماً في التفرغ والشحن، أما الأول فكان من أجل إكساب الشاب العربي طاقة بنزع تلك العقد ولكن في عالم افتراضي، ليستجيب فيخرج كما حدث فعلاً، فتضرب ما تسمى الثورة بمقتل بما سمي الثورة المضادة. وذلك لأنه إذ أريد لثورة القيام حقاً، ثم النجاح لا بد من:

أن تتحدد أهدافها، وأن يُعرف أشخاصها وقادتها ومحركها. في حين أن هذه الثورة التي خرجت ولو ظاهرياً من نبع شبكات التواصل، افتقدت إلى تجلّي الرأس القائد الحقيقي، فأصبح الكل قائداً، بينما أن من أهم مرتكزات أي ثورة أن يتقدم وعلنا مؤطرها وقائدها، فتظهر الأهداف متطابقة بين تلك التي يفرضها واقع معاش، وتلك التي يحملها قائد هذه الانتفاضة، سواء كان شخصاً أو طبقة أو حزباً. لكن وفي ظل تفاعل يفرضه عالم افتراضي، يمكن أن يكون القائد أي شخص، و لن يكون بالضرورة هدفه، هو ذلك

المرفوع في الأفق المتفق عليه من طرف أولئك المهمشون. يقول فوكو عن دعامي الثورة: >> والحال أن الثورة تعرف من خلال ديناميتين: الأولى هي ديناميكية التناقضات الموجودة في ذلك المجتمع، وهي ديناميكية صراع الطبقات أو المواجهات الاجتماعية الكبرى. ثم هناك ديناميكية سياسية أي حضور الطليعة، سواء أكانت طبقة أو حزباً أو اديولوجيا سياسية، باختصار رأس الرمح الذي يجر معه أمة بكاملها.⁷

ثم يجب أن تتوجه الثورة نحو إسقاط أفكار وليس أشخاص. ولا يكون ذلك إلا بإسقاط الفساد المسمى نظاماً خطأ، فالثورة عمل واع منظم. يقول مالك بن نبي: >> فالثورة لا ترتجل، إنها اطراد طويل يحتوي ما قبل الثورة و الثورة نفسها، وما بعدها. و المراحل الثلاث هذه لا تجتمع فيها بمجرد إضافة زمنية. بل تمثل فيها نمواً عضوياً و تطوراً تاريخياً مستمرا. و إذا حدث خلل في هذا النمو وفي هذا التطور فقد تكون النتيجة زهيدة تخيب الآمال⁸. فلا يمكن قيام ثورة في غياب وضوح مبادئها ومنهجها أبداً، يقول مالك بن نبي: >> إن لكل ثورة منهجا يتضمن المبادئ التي تسيّر عليها.⁹

هذا وينبغي التوقف عند هذه الحقيقة وهي مدى فاعلية وحضور التأثير فكرياً وأخلاقاً وسلوكاً، حتى لا يكون مجرد لعبة في أيدي كان من كان من المتربصين. يقول مالك بن نبي: >> فالثورة لا تستطيع الوصول إلى أهدافها إذا هي لم تغير الإنسان بطريقة لا رجعة فيها من حيث سلوكه وأفكاره وكلماته.¹⁰

ثم إن الأمر يستوجب إقبالا على النقد الثوري فيقتات منه كل ثائر، فيعدل من فكره وفعله في التو متى تبينت له الأخطاء، فلا ينهج بذلك سبيل من ثار عليه، فلن يثور غيره يوماً عليه. وهذا ما أشار إليه مالك بن نبي قائلاً: >> فالثورة حين تخشى أخطاءها ليست بثورة، وإذا هي كشفت خطأ من أخطاءها ثم ألفتت عنه فالأمر أدهى وأمر، وفي هذا الصدد نذكر قول ماركس "يجب دائماً أن نكشف الفضيحة عندما نكتشفها حتى لا تلتهمنا."¹¹

إن فعل التغيير يتطلب في المقام الأول توفر القادة لا الجنود. فالفائد يستطيع أن يقول لك لا ، إن انحرفت عن الحق، فيقومك.. أما الجندي فيغرقك بنعم الأبدية، وإن كنت على باطل. هذا ويجب أن نضع في الاعتبار دائماً أن هناك من يترصد بكل تغيير حقيقي حتى وإن تم، وقد نبه إلى ذلك مالك بن نبي بقوله : >> فالثورة قد تتغير إلى (لا ثورة) بل قد تصبح (ضد الثورة) بطريقة واضحة خفية، و الأمر الذي لا يجوز أن يغيب عن أذهاننا في هذا الصدد هو أن مجتمعا ما بمقتضى طبيعته البشرية ينطوي على خمائر من روح (ما ضد الثورة) طبقاً لمبدأ التناقض تناقضاً مستمراً، حتى في فترة ثورية، نستطيع تتبع آثاره في تاريخ كل الثورات تتبعاً لا يغني معه أن ندفع عجلة الثورة في وطن ما، بل يجب تتبع حركتها و رقابتها بعد ذلك.¹²

هذا وفي حالة غياب تلك المستلزمات المذكورة آنفاً لا يمكن أن نتكلم عن ثورة أصلاً. لذا فإن ما يسمى بثورة في بعض دول الوطن العربي أجهضت بأمر حاكم فاعل، و بتنفيذ

كثير من الثوار للأسف، والدليل:

- أسقط شخص: مبارك أو غيره وبقي الفكر الفاسد يحكم، أيعقل أن ينزع المنفذ ويسلم الحكم للمجلس العسكري؟! هذا إن كان الثوار هم من نزعه فعلاً، وهم من سلم الحكم للمجلس العسكري.

- أسقط منفذ بامتياز، فمن يتولى الأمور لا يتحكم حتى في ذاته، وبقي الحاكم الحقيقي يتولى الأمر، بل وينصب الثائر منفذاً، كما كان قد نصب من قبله المخلوع أو الهارب.

- وبديل أن تُسقط موثيقاً أبرمت مع بنوك وهيئات عالمية كصندوق النقد الدولي والبنك العالمي والأمم المتحدة المفرقة للشعوب، وصفقات أخرى مع حكومات كبرى، تسمح بموجهها استعباد واستغلال الشعوب، ذهب الثوار يعقدون محاكمات مسرحية هزلية

للمنفذين لتلك المواثيق إلهاءً للشعوب بلا شعور منهم، بل ويعلن الثوار لتلك الهيئات والحكومات التقرب منها والتودد لها، وتنفيذ تلك المبرمة معها في عهد المنفذ الساقط، والتي حوكم عليه بسببها. أيجي الثائر عقود ستندبای و معاهدة كامب ديفيد وغيرها ؟!

ثم تجد ذلك الثائر لا يتحمل حتى سماع هذا النقد الثوري. والنتيجة أنك تكتشف أنه لم توجد ثورة مضادة، لأنه ببساطة لم يُسقط الثوار الحاكم، بل أسقطوا منفذاً، فلم توجد من الثورة الحقبة إلا النوايا الطيبة للقيام بها. ويبقى الحاكم خارج الديار.

إن البشرية كلها تعيش الأزمة السياسية والاقتصادية والأخلاقية الخانقة. ولكن بدرجات متفاوتة، في ظل تغول من تركزت بأيديهم رؤوس الأموال. يقول مارتن: >> إن 358 مليارديرا يمتلكون معا ثروة تضاهي ما يملكه 2.5 مليار من سكان العالم، أي أنها تضاهي ما يملكه نصف سكان العالم. <<¹³. ففي ظل سيطرة هؤلاء أستطيع أن أقول أن مصير الإنسان في الأرض كلها مهدد، إن تلك الكلمات التي يبشرون كل مرة بها، مثل الحداثة وما بعدها تبقى مجرد وأهام. يقول مارتن: "إذ لم يعد التقدم والرخاء، بل صار التدهور الاقتصادي والتدمير البيئي والانحطاط الثقافي هي الأمور التي تخيم بطابعها على الحياة اليومية للغالبية العظمى من البشرية." <<¹⁴.

4/ الخاتمة:

هذا وأستطيع أن أقول أن شبكات التواصل تبقى وسيلة هي خير في ذاتها، ولكنها قد تحمل شرا كنتيجة غير شرعية لها، إذ للمالك المتحكم فيها قدرة توجيهها حيث أراد، خاصة وأنها احتوت العالم، يقول مارتن: >> إن الشمس لا تغيب على إمبراطوريات شركات الإعلام العظيمة. <<¹⁵. ثم أقول أن ما جرى في العالم العربي وما يجري الآن فيه، هو مجرد إلهاء للعالم كله عن ما يهدد وجود الإنسان كإنسان في هذا العالم.. فينبغي إذا أن لا تبقى البلاد العربية مسرحا للتمثيل والتجارب، وأن لا يبقى الرجل العربي يُفرغ ويُشحن كما يريد حاكم العالم الفعلي له، يقول هربرت: >> ومع ذلك فإن السيطرة على البشر وعلى المجتمعات تتطلب في الوقت الحاضر، وقبل كل شيء آخر، الاستخدام الموجه للكلمات والصور. <<¹⁶.

الهوامش

1- محمد الحجيري، ميشال فوكو والروحانية السياسية القاتلة، 2014/07/11 جريدة شركة الجريدة للمصحافة والنشر الكويت، العدد 2381.

2- النص نقلا عن: هربرت.أ.شيلر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبدالسلام رضوان، ع243، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999، ص 175.

3- زاهر راضي، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، ع15، جامعة عمان الأهلية، عمان، 2003، ص23.

4- خالد غسان يوسف المقدادي، ثورة الشبكات الاجتماعية، دار النفائس للنشر، ط1، الأردن، 2013، ص24.

5- يحيى اليحياوي، بنية الثورة الرقمية: فلسفة التكنولوجيا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود. 2015/09/04. <http://www.mominoun.com/articles>

6- مجموعة مؤلفين، التقرير العربي الأول للتنمية الثقافية، مؤسسة الفكر العربي، د ط، بيروت، 2008، ص9.

- 7- فوكو صحافيا.. أقوال وكتابات، نقلها إلى العربية البكاي ولد عبدالمالك، جداول للنشر والتوزيع، د ط، بيروت، 2012، ص129.
- 8- مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، دار الفكر، د ط، دمشق، سوريا، 2002، ص14.
- 9- المرجع السابق، ص16.
- 10- المرجع السابق، ص54.
- 11- المرجع السابق، ص18.
- 12- المرجع السابق، ص16.
- 13- هانس- بيتر مارتن هارالد شومان، فخ العولمة " الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية"، ترجمة عدنان عباس علي، ع 238، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص54.
- 14- المرجع السابق، ص52.
- 15- المرجع السابق، ص41.
- 16- هيربرت.أ.شيلر، (مرجع سابق)، ص171.

المراجع:

أولا: الكتب

- 1- خالد غسان يوسف المقدادي، ثورة الشبكات الاجتماعية، دار النفائس للنشر، ط1، الأردن، 2013.
- 2- فوكو صحافيا.. أقوال وكتابات، نقلها إلى العربية البكاي ولد عبدالمالك، جداول للنشر والتوزيع، د ط، بيروت، 2012.
- 3- مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، دار الفكر، د ط، دمشق، سوريا، 2002.
- 4- مجموعة مؤلفين، التقرير العربي الأول للتنمية الثقافية، مؤسسة الفكر العربي، د ط، بيروت، 2008.
- 5- هانس- بيتر مارتن هارالد شومان، فخ العولمة " الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية"، ترجمة عدنان عباس علي، ع 238، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.
- 6- هيربرت.أ.شيلر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، ع243، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، 1999.

ثانيا: المجلات والجرائد

- 1- زاهر راضي، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، ع15، جامعة عمان الأهلية، عمان، 2003.
- 2- محمد الحجري، ميشال فوكو والروحانية السياسية القائلة، 2014/07/11 جريدة شركة الجريدة للصحافة والنشر الكويت، العدد 2381.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية

1- يحيى اليحياوي، بنية الثورة الرقمية: فلسفة التكنولوجيا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود. 2015/09/04.

<http://www.mominoun.com/articles>

مجلة
حقائق